وقال الشافعي وأتباعه: إن الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك العبادات زيادة على عقوبة الكفر ، لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣] فترك الصلاة سبب للعقاب[١].

ونكتفي بهذه المسائل ، ونقتصر على بيان الخلاف والدليل بإيجاز ، لأن تفصيل ذلك يحتاج إلى مجال آخر.

سادساً ـ مكانة الأشعرية في المجتمع:

ظهر أبو الحسن الأشعري في العراق معقل المعتزلة ، فناظرهم ونشر مذهب أهل السنة والجماعة ، وبسط أقوال الفقهاء والمحدثين في أمور العقيدة ، والتفت حوله سواد الأئمة وعلماؤها ، وغلب المذهب على بلاد العراق ، ثم انتقل إلى خراسان ، وبلاد الشام ، وبلاد المغرب وسائر إفريقية ، وإلى صقيلية والأندلس ، وانتشر بالشام بواسطة صاحب الأشعري أبي الحسن عبد العزيز الطبري راوية تفسير ابن جرير الطبري عن مؤلفه ، نشره في بلاد الحجاز الحافظ أبو ذر الهروي ، وكان أهم العوامل لانتشار مذهب الأشعرية مصنفات الغزالي بوجه خاص ، وكان ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين تلميذاً للغزالي ، ومريداً صادقاً له عدة سنوات ، ولما ظهر بالأندلس دعا إلى تأييد الأشعرية وحمايتها ، وساعد على نشر كتب الغزالي ، فكان عضداً قوياً لمذهب الأشاعرة في بلاد المغرب ، كما ناصر بعض أئمة التصوف أهل السنة ، على الطريقة الأشعرية منذ القرن الخامس الهجري[٢].

---

(١) نظم الفرائد وجمع الفوائد ص ٥٨ ، هذا ما يبحثه علماء أصول الفقه في مسألة: هل يصح التكليف مع فقدان الشرط ، انظر: أصول الفقه الإسلامي ، لنا ، ص ٣٢٨.

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري ص ١٥ وما بعدها ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠١.

وتبنى الأشعرية معظم أتباع المذاهب الفقهية الأربعة ، فالمالكية كلهم أشاعرة ، ومعظم الشافعية ، وقسم كبير من الحنفية ، وكثير من الحنابلة ، أما بقية الحنفية والشافعية فساروا على منهج الشيخ أبي منصور الماتريدي واتبعوا مذهبه ، وسار أكثر علماء السنة على المذهب الأشعري ، وصار هو المعتمد عندهم في التدريس في معظم البلاد الإسلامية ، واشتدّ ساعد الأشاعرة جيلاً بعد جيل ، وقويت شوكتهم باطراد.

ولقي المذهب الأشعري معارضة متنوعة ، فوقف المعتزلة في وجه أبي الحسن الأشعري حتى تغلب عليهم ، وبعد وفاته بيسير استعاد المعتزلة قوتهم في عهد بني بويه فكرياً وسياسياً ، فقام الإمام أبو بكر الباقلاني في وجههم ، وقمعهم بحججه ، وعاد مركز أهل السنة على الطريقة الأشعرية إلى الانتشار ، وفي أول عهد السلاجقة استطاع الوزير الكندري الذي كان معتزلياً وتظاهر بالمذهب الحنفي استطاع أن يقنع سلطان السلاجقة الأول طغر لبك على سب الأشاعرة ومطاردتهم وحبسهم وإشعال الفتنة عليهم في نيسابور ، ثم رفع هذا الخطر وانقلب الأمر إلى مصلحة الأشاعرة في عهد ألب أرسلان ، وتأييد الوزير الأول نظام الملك ، ودفنت الفتنة ، وعاد علماء الأشعرية إلى مكانتهم السامية.

وقام ابن حزم الظاهري بمخالفة آراء الأشعري ، وتمحيص آرائه ، واتهامه بالجبر حيناً ، وبالإرجاء حيناً آخر ، ولكن هذه المخالفة لم تدم طويلاً ، وانقرضت في حينها.

وأكثر الفرق مخالفة للأشعرية ما قام به فريق من متطرفي الحنابلة وغيرهم في الوقوف في الصف المخالف لأبي الحسن الأشعري ، وخاصة في العراق ، وقالوا ببعض الآراء الخارجة عن أصول مذهبهم ، وناصبوا أبا الحسن الأشعري العداء ، وتحاملوا عليه ، ونسبوا إليه آراء لم

يقلها ، ونقلوا عنه أقاويل غير صحيحة ، بل نص في كثير منها على نقيضها كالصفات ، وتمسكوا بحرفية النصوص ، وحرصوا على الالتزام بالصورة المبسطة التي كانت في الحجاز ، وسار عليها الصحابة ، وسموا أنفسهم بالسلفية ، وثارت بينهم وبين الأشاعرة وعامة العلماء خلافات ومهاترات كانت تصل أحياناً إلى فتن محلية ، حتى قام المحدث ابن عساكر فرد عليهم ، ودافع عن الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابيه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» وذكر فيه أقوال الأشعري ، وترجم لمعظم علماء الأشاعرة ، وبين آراءهم وأقوالهم[1] ، وانتهى الصراع الفكري بين الأشاعرة والحنابلة ، واستقرت السيادة للأشاعرة في مختلف البلدان من القرن الخامس حتى القرن الثامن ، فجدده الإمام ابن تيمية وابن القيم لمدة وجيزة ، ثم زال من الحلبة.

وكان الخلاف بين المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي محصوراً في مسائل نظرية ، واختلافات منهجية ، ويلتقيان في معظم الآراء التي تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكرنا.

واستقر الأمر لدى علماء المسلمين بالوقوف عند أقوال الأشعري يرددونها ويدرسونها ، ويصنفون فيها ، وينسبونها إلى الإسلام مباشرة ، ولم يحرصوا على عدّ أنفسهم منتسبين إلى الأشعري ، مع ما يكنون له ولأتباعه من الاحترام ، ولم يبق الآن في الواقع وأروقة العلم ما يعرف بالمذهب الأشعري.

سابعاً ـ أبرز رجال الأشعرية:

رأينا أن معظم علماء المسلمين ، وأتباع المذاهب الفقهية الأربعة

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٢٥ ، تبيين كذب المفتري ص ١٩.